سوزان مبارك (٢)

أشعر بالرضا إذا منحت أطفال مصر ولو يوما واحدا سعيدا

- لا أحب أن أرى صورى على أغلفة المجلات فوق الأرصفة، ولكننى أحب أن أرى عملى فى كل مكان فى مصر.
- أعد كل خطاب أو كلمة بأسلوب بحثى أكاديمى، واستغرق إعدادى لمحاضرتى فى أكسفورد شهرا كاملا.
- كل مجالات دراستى ـ قبل تولى الرئيس مبارك ـ أعدتنى بصدفة قدرية عجيبة لدورى العام الآن.
- زرت متحف الطفل ٣٠٠ مرة قبل افتتاحه!!
- وحدات الرعاية والتعليم الصحى للأمهات مشروعنا الجديد بعد شلل الأطفال.
- أنا فخوره برجال الأعمال فى مصر الذين يعطون مصر ـ بمبادرة وروح ـ مثلما أعطتهم، وهم قدوة للعمل والإحساس بمسئوليتهم.
- دورى العام حددته طبيعتى الشخصية ولا شىء آخر.

obeikandl.com

- القراءة هى الأساس حتى فى عصر ثورة الاتصال وانفجار المعلومات.
- مازلت أبحث عن الأماكن والإمكانيات والتمويل وكل من يقف ليساند مشروعى للقراءة.
- الطفل المصرى محظوظ فى هذا العهد بكل ما يقدم له.
- لست حزبية، ومعظم عملى قومى فوق الأحزاب.
- المرأة المصرية موجودة، وإذا تراجعت عن دورها العام ينهار المجتمع، ونحن لا ندفع إلى خروجها للعمل أو بقائها فى المنزل، ولكننا ندافع عن حرية اختيارها!
- رغم كل إنجازاتنا فى التعليم، المشوار مازال طويلا جدا، ويبدأ ـ أساسا ـ بالنهوض بالمعلم.
- نجحنا لأول مرة ـ فى العام الماضى ـ فى إدخال بند مستقل إلى الخطة الخمسية للدولة اسمه: (الأمومة والطفولة) وسنسعى لأن يكون هناك بند للمرأة فى الخطة المقبلة.
- العطاء لا يحتاج أزمات.. ومصر تحتاج الاستمرارية.
- أحمد الله لأننى ـ دائماً ـ موفقة فى اختيارى للناس.

أدلت السيدة سوزان مبارك بحديث شامل لى حول قضايا العمل الاجتماعى العام فى مصر، وحدود الدور الذى تضطلع به فى مجالات ثقافة الطفل وتعليمه، والرعاية الصحية، وحقوق المرأة.

وهو الدور الذى أصبح يمثل حالة إجماع قومية مصرية، تتضافر على مساندتها ودعمها كل القوى والتيارات، عبر مؤسسات ومجالس وهيئات وجمعيات، أسستها السيدة الأولى، أوشملتها برعاية رؤوم وجهد لا يعرف التوقف.

وهو كذلك الدور الذى أصبح حالة / نموذج لإسهام رجال الأعمال والقوى الاقتصادية الجديدة فى مصر، بما يحقق فكرة المسئولية الاجتماعية عند نقطة حدها الأقصى، كما يدفع بالمجتمع كله إلى إنجاز غير مسبوق فى مجال التنمية البشرية.

وقد لقيت السيدة سوزان مبارك فى دار السفارة المصرية فى ساوث أودلى بمنطقة ماى فير فى وسط لندن، التى زارتها عام ١٩٩٦ بمناسبة المحاضرة التى ألقتها فى كلية سان أنطونى بجامعة أكسفورد عن المرأة المصرية وقضايا التنمية.

وهنا نص الحوار:

- **فى عصر ثورة وسائل الاتصال وانفجار المعلومات، وجدناك حين ساندت برعاية رؤوم ثقافة الطفل، تعودين إلى الطريقة الأدوم والأكثر تقليدية فى تحقيق الثقافة ألا وهى القراءة والكتاب.. ماهى فكرتك وراء هذا؟**

○ عندما بدأت مشروعى (منذ حوالى ١٥ أو ٢٠ عاما)، كان هدفى إثارة

اهتمام الطفل منذ الصغر بالقراءة، وخلق هذه العادة لديه، بحيث يحب الكتاب، ويحتفل به، ويلجأ إليه.

ولن يكون هذا ـ بالطبع ـ إلا بخلق ذات الاهتمام عند الأسرة، التى بدأت تعرف أن الكتاب وسيلة لتربية الطفل، وأن ارتباطه بالكتاب هو صنو لحب الاستطلاع وللتعلم.

لقد كان الهدف أن ندعم فكرة أن التعليم ليس فى المدرسة فقط.

وبمرور السنين، وظهور وسائل المعرفة الحديثة ذات الطابع التكنولوجى المتقدم، سألنى كثيرون: «هل مازلت مصممة على الكتاب؟»، وكان ردى دائما: «إن الطفل الذى لا يتعلم حب القراءة من مصدرها الأولى التقليدى لن يستطيع أن يستعمل أسطوانة (سى. دى)، أو يستفيد بثروة المعلومات التى مازالت هى الأساس، والكتاب ـ فى اعتقادى ـ هو المصدر، وسيظل هو الأساس للمعلومات وخصوصا للسن الصغير.

● ما هى ملامح التقدم التى لاحظتيها على أطفال مصر الذين اعتمدوا على هذه الوسيلة التقليدية فى بناء أساسهم المعرفى؟

○ أفخر بهم كثيرا.

ولقد بدأنا مشروعنا صغارا بفكرة، أو بحلم أن يكون فى داخل كل مدرسة مكتبة صغيرة، أو حتى مكتبة فصل، ولكن الفكرة الآن أصبحت عملا كبيرا، فقد بدأت بمكتبة فصل، ثم مكتبة طفل، ثم مكتبة متنقلة، ثم مكتبات محمولة تذهب إلى الريف والأحياء الشعبية، ثم مكتبات عامة، مثل: مكتبة القاهرة، ومكتبة مبارك بالجيزة.

الوضع العام الآن ـ بشأن هذا المشروع ـ هو تتويج لعمل استمر على مدى عشرين عاما.

ومازلت أبحث عن الأماكن، وعن الإمكانيات، وعن التمويل، وعن كل من يقف ليساندنى حتى أوصل الكتاب للقارئ.

لقد عاشت مصر فترة، كاد الكتاب أن يختفى فيها، وسمعنا آراء كثيرة تتكلم عن تخفيض ثمن الكتاب لضمان وصوله إلى الناس، والحقيقة أن ذلك كان صعبا، لأن معناه أن ندعم الكتاب، ولا يمكن أن ندعم كل الكتب، لأن الورق غالٍ، والطباعة غالية، وكذلك الحبر، فضلا عن رسوم التصدير أو الجمارك، ومهما ضغطنا واستطعنا تخفيض ثمن الكتاب، فإن ذلك ـ فى نهاية المطاف ـ لا يضمن وصوله إلى الريف، وإلى الأسر المحتاجة التى لا تتوافر لها الإمكانيات.

وكانت فكرتى هى أن الطريقة الوحيدة، هى أن نساند وصول الكتاب إلى الناس عن طريق المكتبات، سواء كانت المكتبة المحمولة، أو المكتبة المتنقلة، أو المكتبات العامة، ولابد أن نعترف أننا نجحنا والحمد لله.

الآن، هناك منافسة حامية وشريفة بين كل المحافظات فى هذا المجال، وكل محافظة تريد أن تؤسس مكتبة فى المدارس والنوادى والمساكن الشعبية.

نعم.. الحمد لله نجحنا.

حق المرأة

- **من جهة أخرى فقد كانت جهودك فى مساندة المشروع القومى لمحو الأمية ذات تأثير كبير، وبالذات فيما يخص أمية النساء، بل إنك طورت هذا المفهوم حين انتقلت به إلى أفق مناقشة محو الأمية السياسية، وأصريت على تسجيل النساء فى جداول الانتخابات.**

ولكن هناك لونا من (الأمية الاجتماعية) أحسب أنه يحتاج إلى إسهامك من جديد، وأعنى به تلك الأمية التى تضع العوائق أمام ممارسة النساء لدورهم العام فى تحقيق النهضة وبناء البلد.. كيف تتصورين حدود إسهامك فى هذه القضية؟

○ الحديث عن المرأة، يفضى إلى الكلام عن تناقض كبير جدا نراه فى مجتمعنا.

وسأحكى لك مثلين شعرت بهما من خلال عملى الميدانى مباشرة يؤكدان هذا التناقض.

فى زياراتى للريف، فى العيادات الصحية، أجلس مع الأمهات وأكلمهن فى كل شىء، وذات مرة توافق مع إحدى زياراتى أن كانت فى وقت الإعداد لانتخابات برلمانية، وقلت لهن: «نحن الآن فى وقت انتخابات.. فمن منكن ستذهب لتدلى بصوتها؟»، وردت علىّ إحداهن قائلة، «هوه أنا ممكن أنتخب»؟!

هذا مثل من الريف، وربما نجد العذر فيه بأن هذه الأم ليس عندها وعيا كافيا بحقوقها، وأن من حقها أن يكون لديها بطاقة انتخابات، ومن حقها أن تذهب إلى الصندوق لتعبر عن رأيها.

ولكن الموقف الرهيب الآخر الذى واجهته من خلال عملى الميدانى، كان فى مجتمع مختلف نهائيا وكلية.. فى القاهرة، فى اجتماع ضم حوالى ٣٠٠ سيدة من أعلى المستويات الثقافية والمهنية، وكنا نتكلم - أيضا - فى وقت انتخابات، ومحور حديثنا كان - كذلك - حقوق المرأة المصرية وواجباتها.

فقد سألت هذا الجمع الكبير: «كم من الحاضرات لديهن بطاقات انتخابية؟».

ولقد ذهلت أن نسبة ضئيلة جدا من هؤلاء السيدات المتعلمات المثقفات اللاتى ليس لديهن حجة، هن - فقط - الذين يمتلكون بطاقات انتخابية.

هذا التناقض بين المستويين، لم يمنع وحدة الظاهرة، وهى الإحجام الذى يأخذ شكل عدم الدراية بالحقوق والواجبات فى مجتمع ريفى بسيط، ويأخذ شكل السلبية الفظيعة فى مجتمع المثقفات فى المدينة اللاتى يعرفن حقوقهن وواجباتهن ولكنهن لا يمارسن هذه الحقوق.

ومنذ عدة سنوات ونحن نعمل فى اتجاهات عديدة ـ فى هذا السياق ـ فعندنا لجنة المرأة فى الحزب الوطنى الديمقراطى التى تقوم بمجهود كبير جدا فى تثقيف المرأة المصريه وتسهيل توصيل المعلومة إليها على كل المستويات المختلفة وتلقنها حقوقها السياسية.

وعندنا كذلك اللجنة القومية للمرأة، وهى كيان فوق الأحزاب، وبالطبع أنا لست حزبية، ومن هنا فمعظم عملى قومى يتجاوز إطار أى حزب.

وتلعب هذه اللجنة نفس الدور فى التثقيف، وتعريف المرأة بحقوقها.

ويذهب أفراد اللجنة إلى الريف، لحضور الاجتماعات واللقاءات العامة للتوعية السياسية، ومن أجل أن نحرك جموع النساء نحو معرفة حقوقهن السياسية وأهمية الإدلاء بأصواتهن.

المرأة المصرية مازالت لها مطالب عديدة، فكيف يمكن أن تطالب، إذا لم تك موجودة فى المؤسسات التى تتخذ القرارات المتعلقة باهتماماتها وبمطالبها؟!

وعندنا كذلك المجلس القومى للأمومة والطفولة، وهو جهاز مهم جدا، وتعبنا جدا لكى نؤسسه، وهو يقود ـ كذلك ـ النزول للجمهور، والقيام بالتدريب، واللقاءات والندوات على مستوى المحافظة والمركز والقرية، وهو يقوم بشغل منظم وممتاز.

كل هذه المؤسسات موجودة ـ أساسا ـ لتثقيف وتنشيط المرأة، وقد أثمر عملها ما نشعر به ـ الآن ـ من فارق كبير فى الوعى والإدراك العام، وبالذات خلال السنوات الخمس الماضية.

● وماذا عن الأمية الاجتماعية، التى تحاول منع المرأة من أدائها لدورها العام؟

○ هذه آراء تجاوزها الزمن.. فالمرأة المصرية موجودة ـ بالفعل ـ فى كل ساحات المجتمع.

وقبل - حتى - أن تحقق المرأة دورا سياسيا فى مصر، فهى موجودة فى جميع المجالات سواء بدورها الاجتماعى، أو الاقتصادى، أو الثقافى، أو من خلال الجمعيات، أو كمهنية.

كيف نقول - اليوم - بأن ترجع المرأة إلى البيت؟!

لو حدث ذلك لانهار المجتمع فى مصر، لأنها متواجدة وبقوة فى عصب كل نشاطات هذا المجتمع.

ربما توجد مجتمعات أخرى - يجوز - أن تستغنى عن دور المرأة، طبقا لظروفها ومراحل نموها. أما الاستغناء عن دور المرأة فى مصر فصعب، وصعب جدا أيضا.

فى الريف المصرى اليوم - على سبيل المثال - ٨٠٪ من النساء خارج البيت، ومنذ مئات، بل وآلاف السنين، والمرأة المصرية الريفية لها دور كبير جدا فى المجال الاقتصادى خارج المنزل، حين تقف إلى جوار زوجها فى الحقل مثلا، وإذا نظرنا للحضر - كذلك - فسوف نجد أن الأسرة المصرية تحتاج إلى دخل الزوجة، إذا أرادت أن تعيش حياه سليمة وكريمة، لأن دخل الزوج لا يكفى.

اليوم تمارس كل العاملات أعمالهن بموافقة الأزواج، بل وبتشجيعهم أيضا، لأن هذا العمل يعود بالنفع على الأسرة كلها.

ومن هنا، فإن المفهوم الذى ينادى بأن تعود المرأة للمنزل لا يتجاوب مع حقائق الحياة اليومية التى نعيشها.

ومع ذلك، فأنا لا أقول: «يجب على كل امرأة مصرية أن تعمل أو لاتعمل»، ولكننى أطالب وأدافع عن حقها فى الاختيار.

أنا - مثلا - لم أعمل فى حياتى، لأننى لم أك محتاجة، ولم أفكر فى أن أعمل، فتزوجت وخلفت، وقعدت لأربى أولادى، ثم أكملت دراستى.

وأنا أفهم أن عمل المرأة ليس - بالضرورة - وظيفة تجلس فيها على مكتب،

ولكن عمل المرأة قد يعنى إسهامها فى العمل العام، وهو مجال متسع رهيب، فيه مساحة تحتاج إلى من يشغلها.

المجال الاجتماعى، فيه فرصة واسعة، للإسهام وتأدية الخدمة العامة، وهذا هو ما فعلت، وأيضا ما فعلته كثير من النساء المصريات بخطوات متقدمة جدا.

ولتلخيص هذا الموضوع نقول: إن المرأة لها الحق فى التعليم والرعاية الصحية، ولابد أن تعلم ـ أيضا ـ ما هى واجباتها وحقوقها، وفى النهاية لها (حرية الاختيار).

المشوار طويل

- **تحتل جهود رعاية الطفل المصرية مكانة متميزة بين مثيلاتها فى العالم، باعتبار أن هذه الرعاية عنصر هام من عناصر التنمية البشرية، وواحد من أكبر الاستثمارات التى يمكن لدولة فى حجمنا القيام بها.**

فى تقدير ـ سيادتك ـ ما هى آفاق هذه الجهود والمجالات الجديدة التى ستشهد إسهامك فيها؟

○ لقد قمنا للطفل المصرى بأعمال كبيرة جدا.

ولقد بدأت عملى العام ـ أساسا ـ مع الطفل المصرى.

وأرجع لأقول: إن التعليم والتطوير الذى طرأ على التعليم خلال السنوات العشر الماضية كان عاملا أساسيا فى هذا السياق.

لقد شهد التعليم طفرة كبيرة، تقوم على تغيير المناهج وأسلوب التعليم نفسه، وفى البنية الأساسية، المتمثلة فى بناء مدارس جديدة بمواصفات خاصة، وإدخال الكومبيوتر فى المدارس، وتطوير المعامل، والاعتماد على تقنيات معرفية متقدمة جدا، بالإضافة إلى العناية بالملاعب. . كل هذا فى إطار فكرى محدد ومقصود يحمل عنوان: «تطوير التعليم».

وبالرغم من كل هذا، فأنا مازلت أقول: إن أمامنا مشوار كبير جدا.. جدا في مساندة مشروع التعليم.

وقد حضرت مؤتمرا فى القاهرة، قبل أن أجىء إلى لندن مباشرة يدور حول النهوض بالمعلم، لأن هذا هو الأساس، وقلت فى كلمتى أمام هذا المؤتمر: إننا مهما أنشأنا مدارس، ومهما غيرنا فى مناهج، أو طورنا فى معامل ومبان وملاعب، فلابد أن يكون المدرس ـ نفسه ـ مقتنعاً بالتغيير والتطور، وإلا فلن يحدث شىء.

- **أحسب أنه بالتوازى مع هذا الجهد فى التعليم، فإن جهدا مماثلا فى التنشئة يحقق الهدف وهو بعض ما رأيناه فى مؤتمر الطفل بمحافظة الغربية، من مشاركة ديمقراطية للأطفال فى إعداد أوراق المؤتمر وإدارة أعماله.**

○ بالضبط، وهذا هو معنى تحركنا على الجبهتين معا: جبهة إعداد المعلم، وجبهة إعداد الطفل.

ومن خلال أول مؤتمر قومى للطفل الذى عقد فى مدينة طنطا، كنت أشعر بالزهو بأطفال مصر الذين أنجزوا كل أعمال المؤتمر، ورأيت فيهم صورة تملأ النفس بالأمل.

وأقول: إن الطفل المصرى ـ حقيقة ـ محظوظ فى هذا العهد، لأنه أخذ من الرعاية والعناية الكثير.

لقد تمكنا ـ لأول مرة ـ فى السنة الماضية أن نُدخل فى الخطة ـ الخمسية للدولة بندا اسمه: (الطفولة والأمومة)، وهو أمر لم يك واردا من قبل.

أصبح للأمومة والطفولة ميزانية مخصوصة، بعدما كان الإنفاق على نشاطات وبرامج هذا العنوان مُتضَمنا فى ميزانية التعليم أو ميزانية الصحة، حسب خطط الوزارة.

وسوف نسعى فى الخطة المقبلة لأن ندخل بندا مخصصا للمرأة بحيث يكون هناك برنامج مستقل لرعاية الطفل وآخر للمرأة مستقلان ومعروفة ـ بالضبط ـ ميزانية كل منهما.

رجال أعمال

- **ترعين جهدا أهليا ممتازا فى النهوض بمشروعات الطفولة أو التعليم، ربما كان أبرز أمثلته مشروع بناء المدارس بعد زلزال ١٩٩٢ .**

ماهى المجالات ـ فى تقديرك ـ التى مازالت تحتاج إلى إسهام أعرض من رجال الأعمال المصريين؟.. وكيف يمكن أن يصبح هذا الإسهام جزءا من عقيدة لديهم تكرس فكرة المسئولية الاجتماعية، بأكثر من أن يكون ـ ولتسمحى لى ـ جزءا من التزامهم الشخصى أمام سيادتك؟

○ أنا فخورة جدا برجال الأعمال فى مصر.

فلدينا فى مصر ١٤ ألف جمعية خيرية، لم تعد ـ بالضبط ـ كيانات لها هذا الطابع الخيرى فحسب، ولكنها تطورت لتمارس دورا عاما أكبر بكثير، وهى ما أصبحنا نطلق عليه المنظمات غير الحكومية، وكل هذه الجمعيات تعتمد ـ أساسا ـ على التبرعات، وهذه التبرعات تأتى من رجال الأعمال، الذين منحهم التحول الاقتصادى الكبير فى مصر فرصة واسعة للعمل وللكسب، وأصبحوا أساسا لطبقة وسطى نشيطة وفعالة، وتربى لديهم إحساس عميق بمسئوليتهم الاجتماعية.

رجال الأعمال لايتأخرون، ليس بالنسبة لى فقط، ولكن بالنسبة لبلدهم ككل، وهم قدوة للعمل، ولإحساسهم بوطنيتهم، وحبهم لمصر.. ودائما ما أسمعهم يرددون أن الرئيس مبارك دعم دورهم وشجعهم، وأنهم مدينون بكل ما حققوا له، ومن ثم فهم جاهزون لأى شىء تطلبه مصر منهم.

ولم يتجسد هذا الموقف ـ فقط ـ فى مشروع بناء المائة مدرسة ـ ولكن فى كل مجال، ففى حالة الزلزال كنا فى أزمة، ولكن العطاء لا يحتاج أزمات، ومصر تحتاج الاستمرارية فى مساندة كل مشاريعها القومية سواء التعليم أو المدارس أو المكتبات أو زراعة الصحراء.. وهو ما يفعله رجال الأعمال، ومن أجل هذا فإننى ـ حقيقة ـ أشكرهم.

● جاء المشروع القومى لمواجهة شلل الأطفال بنتائج ممتازة، ما هى الخطط المستقبلية فى ذهن السيدة حرم رئيس الجمهورية للنهوض بصحة الطفل المصرى؟

○ أنت تعرف أن مواجهة مرض شلل الأطفال كانت تعتمد على الحملات (حملة للتطعيم.. وحملة للتوعية والتثقيف الصحى للأم وللأسرة.. وهكذا).

وأهم شىء فى نجاح مثل هذه الحملات هو الاستمرارية والمتابعة، وهو ما فعلناه سواء فى حملة مكافحة الجفاف، أو حملة شلل الأطفال.

وإذا توقفنا، فإن الخطر سيعود ليطل برأسه من جديد.

ونحن نجدد الحملات، من خلال التعليم الصحى للأمهات عبر المراكز العديدة المنتشرة لرعاية الأمومة والطفولة.

ومشروعنا الجديد الذى تقوم به وزارة الصحة، هو إنشاء مائة وحدة صحية تخدم الأمهات فقط (تعليما وتثقيفا وصحة).

فإذا أصبحت الأم لديها الوعى والفهم والإدراك، وإذا أصبحت متعلمة ومتنورة فلا يمكن أن تتأخر فى تطعيم طفلها أو رعايته كما ينبغى.

دورى العام

● منذ أطلقت جمعية الرعاية المتكاملة، كان ذلك إيذانا بالعمل التطوعى الهادئ الذى اتسم به ظهورك العام، واسمحى لى أن أسألك ـ فى هذا الإطار ـ سؤالا شخصيا عن عناصر معادلة

أدائك العام، والتي جاءت مختلفة عما عرفناه عند زوجات الرؤساء من الكمون أو التوقف فى بعض الحالات، أو الظهور الزائد فى حالات أخرى.. هل حددت ذلك ـ فى ذهنك ـ منذ اللحظة الأولى لإقدامك على دورك العام.. أم أنك كنت تؤدين بشكل يتواءم مع معطيات الواقع فحسب؟

○ الحقيقة أن هذه الأمور تجىء بشكل طبيعى، وأى واحد فينا له اهتمامات فى مجالات معينة، تفرضها طبيعة شخصيته، وهو يعبر عنها فى عمله المهنى، وفى عمله العام.

لم أحاول أن أرسم شكلا لدورى العام، ولكنه جاء تعبيرا عن شخصيتى، وربما فى بعض الأحيان أضع حدودا له بما يتوافق مع هذه الشخصية.

● **مثل ماذا يا فندم؟**

○ مثلا حين أُدلى بأحاديث صحفية، مثلما نفعل الآن، ففى كثير من الأحيان إذا طلب منى أحد الصحفيين أن يجرى حديثا فى مجلة، ويسألنى أن يضع صورتى على الغلاف. . أرفض!

● **لماذا ترفضين سيادتك ـ إذا كان حجم الدور العام يساوى هذا الظهور الإعلامى؟**

○ ربما يعود هذا إلى طبيعتى الشخصية.

أنا لا أحب أن أرى صورى على أغلفة المجلات فوق الأرصفة، ولكننى أحب أن أرى عملى فى كل مكان فى مصر.

أُفضّل أن يشار إلى حديث لى فى الصفحة الأولى أو الغلاف، على حين يجد القارئ صورتى منشورة فى الداخل.

أنا أترك الصفحة الأولى للنجمات والممثلات، ولكن ما يهمنى هو الجوهر والمضمون وليس الغلاف أو الصورة!

أحب أن أعمل بهدوء، ولا أُفضّل أن أتعرض لأضواء الإعلام.

● وماذا أيضا تضعين ـ سيادتك ـ له حدودا فى عملك العام؟

○ أنا لا أفرض، ولكنى أشجع نفسى على الاختيار.

وقد جاء اختيارى للطفوله تعبيرا عن رغبة شخصية، ليصبح هذا الموضوع هو محور دورى العام.

وطريقتى فى العمل هى أن أبدأ بالشىء صغيرا، فإذا ما نجح، فلابأس أن أقوم بالدعاية له. ومن هنا أتجنب المبالغات الإعلامية.

ومثال ذلك: قضية المكتبات، فعندما تحركنا فى هذا المجال بدأنا بمشروع مكتبة صغيرة، فلما نجح وحقق إقبالا، بدأنا نتكلم عن المشروع وليس عن شخصى.

وهكذا ـ أيضا ـ فعلنا فى متحف الطفل، فمنذ ثمانى سنوات وأنا أعمل من أجل متحف الطفل، وأشترك مع مجموعة فى اجتماعات أسبوعية لهذا الغرض، بعضها يستمر لست وسبع ساعات، ولم يعرف أحد شيئا عن حجم العمل، أو سمع عن هذا المتحف إلا يوم الافتتاح.

وعندما ذهبت لقص شريط افتتاح متحف الطفل، كنت قد زرته أثناء الإعداد ٣٠٠ مرة، وهذا رقم لا مبالغة فيه، لأنه مسجل فى سجلات متحف الطفل.

كنت أدخل فى كل التفاصيل (شكل المبنى ـ لون الجدران.. كل شىء)، بالضبط مثلما فعلت فى المكتبات.

وعندما أذهب لافتتاح عمل من هذه الأعمال، أضحك فى سرى، لأننى كنت فى موقع العمل أمس، وأول أمس، وكل يوم.

نبنى (طوبة.. طوبة) دون دعاية، ودون أن يشعر أحد، لكننى بعد أن أفرغ من العمل أسمح بأن يحضر الإعلام ويصور ويتكلم.

هذه كلها سمات تنبع من شخصية كل واحد فينا، وهكذا كان عملى يعكس شخصيتى.

لو كان بيدى

● **هل نمت بذور الاتصال بقضايا الأمومة لديك من خلال دراستك المتعمقة لعلم الاجتماع، أم أنها وليدة تجربة إنسانية، جعلتك المسئولة الأولى عن تربية أولادك، الذين كان أبيهم مقاتلا ملتصقا بعمله بالكامل تقريبا؟**

○ لا أعتقد أنه توجد امرأة لا تحب الأطفال.

ولكن إلى جوار هذا يوجد إحساس مركب حتى بأطفال الآخرين.

لقد شغلتنى ـ طويلا ـ أفكار عن مدى احتياج الطفل المصرى لأن يعيش طفولته، ويتمتع بمدرسته وصحته ومكتبته.

وعندما كنت أزور بعض الأماكن الشعبية أو الفقيرة، كنت أردد فى نفسى: «الحمد لله الذى مكننى من تربية أولادى بشكل كريم»، وكنت أتأثر بشدة حين أجد طفلا محروما.

لو كان بيدى لأعطيت الطفل المصرى كل شيء يحبه، وهذا هو ما أحاوله، وأشعر بالرضا إذا منحت أطفال مصر ولو يوما واحدا سعيدا.

الطفل المصرى مازال محتاجا، والحياة أصبحت صعبة، ولكن مساندة الطفل تقف فى مرتبة أول الأولويات، لأنه المستقبل.

وحين أرى اليوم الابتسامة الجميلة لأطفالنا فى أى مكان أذهب إليه سواء كان مؤتمرا أو اجتماعا أو مكتبة، فإن سعادة كاملة تغمرنى، وهذا مجال العطاء فيه ليس له نهاية.

● **هل أثرت دراستك على نوع العمل العام الذى تقومين به؟**

○ لقد جاء هذا بشكل تلقائى، ربما منحتنى دراستى أصول المنهج العلمى دون أن أشعر، وعندما كنت أدرس لم أكن أعرف أن هذا سوف يكون دورى، فلم أكن أعرف أو أعلم، أو أفكر أن المستقبل ينطوى على هذا الدور.

obeikandl.com

كان الرئيس فى القوات الجوية، وبدأت دراستى فى الجامعة الأمريكية بالعلوم السياسية والاقتصاد، بما أعطانى خلفية مناسبة، ثم حولت على دراسة علم الاجتماع، ثم انتقلت ـ بعد ذلك ـ لدراسة سوسيولوچيا التعليم بالذات.

وكان هذا شيئا غريبا، ومصادفة قدرية عجيبة، إذ كانت دراستى ـ بالضبط ـ تتعلق بنوع الدور العام الذى مارسته بعد ذلك.

كل هذه المعارف تكون مخزونة داخل الإنسان،وليست محسوبة بالورقة والقلم، ليستدعيها حينما يريد، ولكنها تبرز حين الحاجة إليها من تلقاء نفسها.

أكاديميات:

● **أظن أنه لو لم يأخذك العمل العام على هذا النحو لكنت أكاديمية تنشغلين بالبحث العلمى.. هل مازلت تشعرين بحنين إلى مواصلة الطريق الأكاديمى الذى بدأتيه وأنت أم تنفقين الكثير من الوقت والمجهود لتربية أبنائك؟**

○ بعدما فرغت من مناقشة رسالة للماجيستير، جاءت علىَّ فترة كنت أفكر فى أن أعمل دكتوراه، ولكن لم يكن هناك وقت لهذا؛ لأن الريس كان قد تولى منصبه، ورأيت أن الوقت الذى سوف أعطيه للقراءة والتعليم سيكون أفيد للعمل الاجتماعى، وبخاصة أننى دخلت إلى هذا بالمعلومات التى درستها.

ولكننى مازلت أحب البحث، وأجد متعة كبيرة فى تجهيز أى كلمة أو خطاب أكون بصدد إلقائه، ولا توجد كلمة ألقيتها طوال ١٥ عاما إلا وكانت وليد مجهود بحثى حقيقى.

● **كم تستغرقين ـ سيادتك ـ من الوقت لإعداد محاضرة كتلك التى ألقيتِها فى كلية سان أنطونى بجامعة أكسفورد؟**

○ لقد أخذت منى شهرا كاملا.

وفى حالات أخرى أستغرق وقتا أطول، وحينما أكون بصدد كتابة محاضرة أو كلمة، أجهز كتبى ومراجعى، وأستخرج منها كل المادة التى تفيدنى، كما تعلمت ـ فى الجامعة الأمريكية طريقة إعداد ورقة علمية بشكل مضبوط.

وعندما أبنى النص أحدد طريقة العرض أو التقديم، ثم جسم الورقة، ثم الاستخلاصات والنتائج ـ بالضبط ـ بالطريقة الأكاديمية.

أنا لا أحب ـ كما لم يحدث ـ أن أعطانى أحد كلمة لأقرأها، لأننى أجد متعة فى تحضيرها.

عن المـــرأة:

● **أظن أن الكثير من قضايا المرأة التى تثار فى مصر الآن، سبق إثارتها فى مطلع القرن كما سبق فرزها، هل تعتقدين ـ سيادتك ـ أن العودة إلى مناقشة ما سبق وأن حسم المجتمع موقفه منه هو لون من الردة الاجتماعية، أم أنه دليل على حيوية المجتمع فى إعادة المراجعة وإعادة الاختبار؟**

○ قضية المراجعة لعمرها لن تنتهى.

وأى فكرة جديدة تحتاج لأن نختبرها وفقا لديننا وتقاليدنا ولحقائق العصر وعناصره، وحتى النظر إلى قضايانا القديمة يحتاج لنفس الأسلوب، ولن يأتى وقت ـ أبدا ـ نقول فيه إننا وصلنا لكل ما نريد أن نصل له، وناقشنا كل المواضيع التى ينبغى مناقشتها، وإننا سنغلق أبواب الحوار، ولن يتكلم أحد أو يناقش.

هذا لن يكون مجتمعا!

طبيعة المجتمع أن تكون فيه حيوية، وفيه عمليات تبادلية داخلية للأفكار، ومن خلال ذلك، ربما يكتشف المجتمع أنه يريد أن يعود للخلف فى بعض القضايا، أو يثبت على التقدم الذى وصل إليه، أو يعتنق من الأفكار الجديدة ما يعد متقدما على ما وصل إليه من قبل، وهو ما نأمله، وبخاصة بعد ما وضحت رؤية مجتمعنا للتيارات أو الاتجاهات السليمة وغير السليمة فيما يخص الكثير من قضاياه.

● كيف تشكلين فريق العمل المساعد لك، وبأية مقاييس؟

○ أحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأننى دائما موفقة فى اختيارى للناس سواء فى المجموعة المساندة لعملى فى مجال الطفولة، أو فى مجال الصحة، أو فى أى مجال عملت فيه، اختياراتى موفقه دائما، والحمد لله، ولم آخذ «مقلبا» فى أى شخص تعاملت معه.

أختار من يساعدنى من أعلى مستويات التخصص فى القضية التى أنا بصدد التحرك من أجلها، فعندما شكلنا المجلس القومى للأمومة والطفولة، درسنا كل الأسماء المهمة فى مجالات الصحة والتعليم وغيرها، واخترنا ثلاثين اسما لسيدات ورجال، خبراء على القمة فى مجالات تخصصهم.

وكنت أنظر إليهم حين يتحلقون حول منضدة الاجتماعات، فأشعر أن مصر، بأفضل ما فيها ـ هى التى تتكلم، وأيضا لأنهم ممثلين لجميع الاتجاهات والآراء التى تموج بها الساحة فى بلدنا.

لدينا الآن حرية، والجميع يتكلمون ويعبرون عن اختلافاتهم، ولكنهم يتفقون على حب البلد، والارتباط بالقضية.

نحن نتكلم فى قضايا اجتماعية مهمة، وليست قضايا حكم، أو قضايا شخص، وهذا المناخ هو الذى يُشعر الإنسان ـ حقيقة ـ بالانتماء.

نحن نعيش فترة فى مصر فيها نوع من الأمل، والناس تريد أن تعطى وتساند، وهذه الروح تعطينى دفعة كبيرة، لأحاول أن أفعل أكثر وأتشجع أكثر.

● هل قوة المرأة فى المجتمع المصرى، معبر عنها تعبيرا حقيقيا من الناحية التمثيلية بما يساوى حجمها بالفعل؟

○ بالطبع لا.

● لماذا؟

○ لأنه مازال هناك من لا يحبون التغيير، ويوجد من يقاومون التطور،

وهناك من يرفضون نزول المرأة فى دائرة من الدوائر لأنها فى نظرهم غير مضمونة، وبالتالى يرشحون رجلا.. ربما لديهم حق فى بعض المناطق، ولكن هذا لا يصلح كمبدأ للتعميم.

على أية حال نحن نقول إنه لكى تنزل المرأة إلى الانتخابات وتنجح فلابد أن تبدأ فى العمل الاجتماعى على مستوى المركز، وأن يكون لها اسم، يسندها حين تطرح نفسها فى الانتخابات، ومازلنا نحتاج إلى دعم دور المرأة هذا من القاعدة، وهو ما نفعله.

ونحن نشعر أن مفهومنا فى مساندة قضايا الطفولة وقضايا المرأة، أصبح مستوعبا ـ الآن ـ لدى المحافظين، الذين يبدون تعاونا كبيرا فى هذا المجال، والمحافظون يساندون جهود اللجنة القومية للمرأة، والمجلس القومى للأمومة والطفولة، ويحضرون بأنفسهم الاجتماعات التى تهتم بقضايا الطفل والمرأة والصحة والتعليم والعمل الاجتماعى والعمل السياسى.

هذا تقدم تحقق بعد جهد، لأن هذا المجال كان يحتاج إلى هزة كبيرة، والحمد لله سوف نشهد قريبا ـ إن شاء الله ـ طفرة كبيرة جدا فى هذا المجال.

- **السيده سوزان مبارك.. حين تذهبين لإعطاء صوتك فى الانتخابات، هل تكون من العوامل المرجحة لديك أن تكون المرشحة سيدة أم لا؟؟**

○ بالطبع ليس العامل الوحيد أن تكون امرأة، ولكن هذا العامل إلى جوار عشرات من العوامل الأخرى يشكل موقفى.

المرأة تحتاج إلى دعم دورها، وإلى اقتناع الناس بهذا الدور، وهذا أمر يحتاج إلى تعبئة وتوعية كبيرة، ينبغى أن يساندها ـ فى المقام الأول ـ ثقة المرأة فى نفسها، وفى قدرتها على اقتحام مجال العمل العام والعمل السياسى فى مستوياته المختلفة.

- ١٩٩٦ -

□ □ □

o b e i k a n d l . c o m